

تفسير البغوي

14 - { إذ جاءتهم } يعني : عادا وثمودا { الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم } أراد بقوله : { من بين أيديهم } الرسل الذين أرسلوا إلى آباؤهم من قبلهم { ومن خلفهم } يعني : ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آباؤهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى [عاد وثمود] وفي قوله : [{ ومن خلفهم } راجعة إلى الرسل] { أن لا } بأن لا { تعبدوا إلا الله } قالوا لو شاء ربنا لأنزل { بدل هؤلاء الرسل } ملائكة { أي : لو شاء ربنا دعوة [الخلق] لأنزل ملائكة { فإننا بما أرسلتم به كافرون } . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي حدثنا عبد الله بن حامد الأصفهاني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي أخبرنا أحمد بن مجدة بن العريان حدثنا الحماني حدثنا ابن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرمة عن جابر بن عبد الله قال : قال الملاءم من قريش وأبو جهل : قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك أو لا فأتاه فلما خرج إليه قال : يا محمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فبم تشتم آلهتنا ؟ وتضل آباءنا ؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش ؟ وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ؟ ورسول الله A ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله A : بسم الله الرحمن الرحيم) { حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته } إلى قوله : { فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود } الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل : يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه قال : فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال : والله لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالا ولكني أتيت وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله : { فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود } الآية فأمسكت بفيه وناشده بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب .

وقال محمد بن كعب القرظي : [حدث أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد فقال : يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا وإن كان هذا الذي بك رثيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فإنكم لعمرى بني عبد المطلب يقدرون على ذلك مالا يقدر عليه غيركم حتى إذا فرغ فقال له رسول الله ﷺ : أو قد فرغت يا أبا الوليد .

؟ قال : نعم قال : فاستمع مني قال : أفعل فقال A : بسم الله الرحمن الرحيم { حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا } ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائي أنني قد سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم فأنتم أسعد الناس به فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم [